[163] ما كان من يزيد: ثم الذى كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته، ثم غزو مكة ورمى الكعبة واستباحة المدينة، وقتل الحسين عليه السلام في أكثر أهل بيته، مصابيح الظلام، وأوتاد الاسلام، بعد الذى أعطى من نفسه، من تفريق أتباعه، والرجوع إلى داره وحرمه، أو الذهاب في الارض حتى لا يحس به، أو المقام حيث أمر به (1)، فأبوا ألا قتله والنزول على حكمهم. إلى أن قال الجاحظ: كيف نصنع بنقر القضيب بين ثنيتى الحسين عليه السلام، وحمل بنات رسول ا حواسر على الاقتاب العارية، والابل الصعاب، والكشف عن عورة على ابن الحسين عند الشك في بلوغه، على أنهم إن وجدوه وقد أنبت قتلوه، وإن لم يكن أنبت حملوه، كما يصنع أمير جيش المسلمين بذرارى المشركين (2) ! وكيف تقول في قول عبيدا بن زياد لاخوته وخاصته: دعوني أقتله فإنه بقية هذا النسل، فأحسم به هذا القرن، وأميت به هذا الداء، وأقطع به هذه المادة ؟ خبرونا على ما تدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم، ونالوا ما أحبوا فيهم - أتدل على نصب وسوء رأى وحقد وبغضاء ونفاق، وعلى يقين مدخول وإيمان مخروج (3) أم تدل على الاخلاص وحب النبي صلى ا عليه وآله والحفظ له وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ؟ فإن كان على ما وصفناه لا يعدو الفسق والضلال، وذلك أدنى منازله، فالفاسق ملعون، ومن نهى عن لعن الملعون ملعون، وزعمت نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا أن سب ولاة السوء فتنة ولعن الجورة بدعة. والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه، وابن زياد وابيه (4).

---

(1) لم يذكر الجاحظ أنه طلب منه أن يذهب إلى يزيد وهذا هو الصحيح الذى رجحناه وهو الموافق لخلق الحسين وما ركب عليه دمه. (2) سيأيتك شئ من تفصيل هذه الجريمة الكبرى التى لم يقع مثلها في التاريخ الاسلامي على مد عصوره. (3) أثبتناه هنا كلمة مخروج عن الاصلى لانها في مقابل (مدخول) السابقة لها، وقد تكون الكلمة (مخدوج بدال) أي ناقص ومنه الخدوج وهو المولود قبل أوانه. (4) في كل عصر نابتة سوء مبغضة عرفت بالنصب، وفى عصرنا هذا من هذه السلسلة قوم فضحوا أنفسهم بنصبهم. (*)